إدماج الشباب في عالم متحول:
الأبعاد والتحديات والرهانات
قراءة في أحد أعمال عالم الاجتماع "مصطفى محسن"

عبد الرحمان وعمي، باحث في علم الاجتماع
مختبر الإنسان، القيم والمجتمع
د. محمد سلمي، أستاذ جامعي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة ابن طفيل – القنيطرة
المملكة المغربية

تقديم عام: أهمية الكتاب المقروء وأبرز مداخل القراءة[1]

إن المطلع على الإرث السوسيولوجي، والمتتبع للأوراق العلمية داخل مختلف التخصصات العلمية الإنسانية والاجتماعية، كما المتتبع للحقل السياسي، "في المغرب" سيلاحظ أنه قليلا ما يتم الاهتمام بالشباب، فهل تغفل مناهجنا وأبحاثنا الحالية القوى الرئيسية التي تُشكّل حياة الشباب في المغرب؟ وهل نُفوّت فرصًا، أولًا، لدعم توجهات ومشاريع الشباب في إدارتهم ومقاومتهم لهذه القوى، وثانيًا، لتشكيل سياسات عمومية تدعم سير الشباب نحو الأفضل؟ إن هذه الأسئلة وأخرى من قبيل تتبع الأسباب والعوامل التي تجعل الكثير من الشباب يهاجر. وكون أنني أشتغل على سوسيولوجيا الهجرة، فقد قادني هذا الاهتمام والاشتغال إلى إنجاز هذه القراءة في أحد أهم الأعمال المنجزة داخل الحقل السوسيولوجي في المغرب والعالم العربي حول "**الشباب**".

وقبل أن أبدأ في مراجعة كتاب " **في المسألة الشبابية...**" **لعالم الاجتماع مصطفى محسن**، كنت أتوقع تعدادًا آخر للنظريات التي طورها علماء الاجتماع الكلاسيكيون منذ عقود حول سوسيولوجيا الشباب كما تعلمت كذلك خلال سنوات دراستي الجامعية، بيد أنه لحسن الحظ، هذا العمل ليس كذلك على الإطلاق، حيث كُتب، في معظمه، كدليل نظري ومنهجي مفيد للطلاب والباحثين ليس فقط داخل الحقل السوسيولوجي الأكاديمي، بل كذلك لعموم الباحثين من مختلف التخصصات، وكذلك لجمهور المهتمين ولصناع السياسات والقرارات في مجال "**المسائل الاجتماعية**"، والتي تعد المسألة الشبابية واحدة ضمنها. وكأن مصطفى محسن هنا يلبي دعوة ما يسميه مايكل بوراوي (2005) بـ "**علم الاجتماع العام**"[2]، كما سعى مقابل ذلك أيضا إلى تطوير مقاربات جديدة تجمع بين نظريات ومفاهيم مختلفة، وبين التأمل النقدي في المشكلات الاجتماعية المعاصرة التي تواجه الشباب.

وحسب قول الباحث، كُتب هذا العمل: "لما للمسألة الشبابية من مكانة مركزية ووازنة، ضمن مكونات ما يدعي، في الحقل الاجتماعي بـ" **المسألة الاجتماعية**" بكل أبعادها ودلالاتها المتعددة: ثقافيا واقتصاديا وسياسيا وقيميا وحضاريا..." (ص9)

---

[1] **الكتاب موضوع هذه القراءة هو: مصطفى محسن: في المسألة الشبابية نحو سوسيولوجيا نقدية لتحولات أنساق القيم والتكوين والتوجيه والتشغيل وأسئلة الهوية واندماج الشباب في عالم متغير، دار الأمان، الطبعة الأولى 2022.**
وكل ارقام الصفحات الواردة في نص القراءة دون ذكر مرجعها تشير أساسا إلى هذه الطبعة من الكتاب. لذا وجب التذكير.

[2] Burawoy, M. (2005). For public sociology. American Sociological Review, 70(1),pp 4–28. https://doi.org/10.1177/000312240507000103.

وأعتقد أن أهم ما يميز هذا الكتاب النوعي الهام هو، احتواءه على طرح مشكلات ونظريات اجتماعية معاصرة، على سبيل المثال، أثار اهتمامي عند قراءة الكتاب كيفية تناول الباحث لقضية الإدماج والاندماج للفئة الشابة، وكيف حاول دون أن يسهب في إعادة تعريف المفهومين، عرض ما يجسدهما من خلال الأوضاع الراهنة التي يعيشها شباب اليوم، مقارنا بين الأنظمة الغربية والعربية بشكل عام، والمغربية على وجه الخصوص، من حيث تعاملها وتعاطيها مع قضية إدماج الشباب، كما يُحلل الباحث ضمنه، بفكر نقدي تجديدي مميز، مجموعة من الأسئلة والقضايا المعاصرة الشيقة من منظور منفتح متعدد الجوانب والأبعاد، ونركز، من بين ذلك، على ما يلي:

ماذا نقصد بالشباب؟

هل نقصد الشباب القروي أم الحضري؟ الإناث أم الذكور؟ المتعلمين أم الأميين؟ المشتغلين أم العاطلين؟ وشباب أي طبقة اجتماعية، الميسورة، أو التي تعاني التهميش والاستبعاد؟...إلخ

كما لا يفوتني القول، أنه، وعلى الرغم من أن الكتاب يُزعم أنه موجه للطلاب وعموم الباحثين، إلا أن بعض الفصول تتضمن ملخصًا ومفاهيم لأحدث الأبحاث حول مواضيع محددة في علم الاجتماع الشباب بشكل خاص وضمن السوسيولوجيا بشكل عام، ما يجعل هذا العمل مثيرا للاهتمام، حتى لعلماء اجتماع الخبرة. أما من حيث اللغة، فالكتاب سهل القراءة ومفيد للتدريس، حيث يبدأ كل فصل بنظرة عامة وأهداف تعليمية، وينتهي بمفاهيم رئيسية ومقترحات وملخص للفصل ومراجع، يُتاح للقارئ طوال كل فصل مراجعتها قصد إثراء الفهم، وللمزيد من التوضيح...

ويبقى بعدما تقدم القول، أن دراسات الشباب مشروع متعدد التخصصات يغطي "علم الاجتماع، والسياسة، وعلم الجريمة، والسياسة الاجتماعية، والجغرافيا، وعلم النفس"، مع التركيز على بعض الإشكالات مثل: الشباب، والتعليم، والتوظيف، والأسرة، والأصدقاء، والهويات، وثقافات الشباب وأنماط حياتهم، والصحة والرفاهية، والجريمة والعدالة، والمواطنة من زوايا مختلفة...إلخ، والكتاب قيد الاشتغال لامس بدرجات مختلفة، وتناول مفاهيم كثيرة. وتبعا لذلك فإن قراءتي لهذا العمل لن تكون شاملة بل ستركز على إشكالية مهمة تتطرق لها الباحث في بعض فصول هذا الكتاب الأكاديمي المرجعي القيم، وهي مسألة **إدماج الشباب في سياق التحولات الراهنة التي يعرفها مجتمعنا، كما يعرفها السياق الكوني برمته...**

- فماذا يقصد مصطفى محسن بإدماج الفئة الشابة واندماجها؟
- ثم أين تتجلى مظاهر الأزمة الشبابية في المجتمعات العربية؟
- وماهي العوامل المنتجة لهذه الأزمة؟
- وأي استراتيجية عقلانية في مشروع مصطفى محسن لإدماج الشباب والخروج من هذه الأزمة؟

المبحث الأول: بين مفهومي "الإدماج والاندماج"/الأبعاد والدلالات..

إن قضية **الاندماج**، كمفهوم محوي في مقاربة أوضاع الشباب، غالبا ما تطرح في الدراسات الاجتماعية التي تهتم بالهجرة والمهاجر. وهو مفهوم تتمسك به الكثير من الأنظمة السياسية أيضا في هذا الصدد. بيد أن هناك اهتمام قليل بهذا المفهوم حين تناول المشكلات الاجتماعية الأخرى قصد دراستها، وهو ما يشكل في نظرنا تيمة مميزة داخل هذا العمل الذي تعد فيه **مسألة "إدماج الشباب"** ضمن السياق الاجتماعي العام الركيزة الأساس. وقد ميز الباحث، في عمله هنا، بين الإدماج والاندماج، حيث أقر أن الأول لديه طابع اقتصادي مهني، فيما يتسم الثاني بطابع ثقافي سياسي، حضاري، قيمي عام...، أي أن الثاني أعمق وأشمل من الأول، وإن كان مصطفى محسن، يرى أن هذه المسألة، أي **"مسألة إدماج الشباب"**، تشكل الهم الشاغل لكل الأنظمة الاجتماعية، وللشباب نفسه،(ص29) إلا أنه يؤكد على أن هذه الأنظمة تبقى عاجزة عن تحقيق اندماج كلي لهذه الفئة، كما تعبر عن ذلك أوضاع هذه الأخيرة المأزومة، وما تعيشه من تهميش، يتمثل بالدرجة الأولى في: **غياب الدمقرطة الشاملة للتربية والتعليم والتكوين والتوجيه**، أي أن هناك انعدام تكافئ الفرص بين الاناث والذكور من الشباب، وبين

الحضريين والقرويين، كما بين مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية، ثم **عدم التطابق أو التكامل بين أنظمة التعليم والتكوين من جهة وبين قطاعات المجتمع بشكل عام من جهة ثانية**، إذ لم تعد مضامين التعليم الحالية ملائمة لمتطلبات سوق الشغل ومجالات الاقتصاد، وفي هذا الصدد يشير الباحث إلى مسألتين هامتين:

الأولى: وهي أن التطابق بين مضامين التعليم والتكوين وبين أسواق العمل والاقتصاد، ليس تطابقا ميكاينكيا، وهو لا يشكل إلا جزء ضمن أهداف النظام التعليمي، أي أن إعادة التفكير في النظام التعليمي، لا يجب أن يتمّ من منطلق هذا البعد الاقتصادي وحده، بل وضرورة استجابة هذا النظام للحاجات النفسية والاجتماعية والثقافية للشباب، وهو ما يستوجب الالتزام بالحذر النظري والمنهجي، في معالجة علاقة التعليم والتكوين بقطاعات المجتمع والاقتصاد.

والثانية: أن اللاتطابق بين مضامين التعليم والتكوين وبين أسواق العمل والاقتصاد، ليس فقط بسبب نوعية التعليم والتكوين، بل جزء كبير منه يعود إلى الشروط والميكانيزمات التي يشتغل وفقها نظام التشغيل والتوظيف والاستخدام، كعدم قدرته على احتواء عدد هائل من الأطر والكفاءات المختلفة الاختصاص، بالإضافة على هيمنة فئات ومصالح وتوجهات معينة على قنوات التشغيل، تشتغل وفق نظام العلاقات الزبونية والولائية والقرابية وغيرها...

بالإضافة إلى ذلك يشير الباحث إلى مسألة أخرى مهمة، وهي: **هشاشة أنظمة التوجيه التربوي والمهني والجامعي للشباب**، منتقدًا عدم قدرته على التوفيق بين احتياجات وتطلعات الأفراد ومتطلبات المجتمع، إذ ورغم الأهمية النظرية للتوجيه في تعزيز التكامل بين الأفراد والمجتمع، إلا أن التوجيه في المغرب والعديد من المجتمعات العربية لا يزال مجرد ممارسة شكلية وصورية تخضع لسياسات مدرسية محددة مسبقا يمكن توصيفها بغير عقلانية، مما يؤدي إلى اختيار عشوائي دون تحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية المنشودة والمرغوب فيها، ويطالب الباحث في هذا الصدد بضرورة **دمقرطة التوجيه وترشيده** كركيزتين أساسيتان لتحديث الأنظمة التعليمية وجعلها أكثر استجابة لمتطلبات التنمية.

وفيما يتعلق **بالثقافة والشباب**، يناقش عالم الاجتماع مصطفى محسن، مسألة **غياب سياسة ثقافية واعية تعالج تطلعات الشباب وأزماتهم الفكرية**. فالمؤسسات الثقافية والتعليمية لا تساهم بفعالية في احتضان الشباب وتنمية قدراتهم، مما يؤدي إلى تهميشهم على المستوى السوسيوثقافي، مشيرا إلى أن الأنشطة الثقافية تبقى سطحية وغير متسقة، بينما تتناقض القيم التي تروج لها المدارس مع تلك التي يروج لها المجتمع المدني ووسائل الإعلام، مما يساهم في تعميق الفجوة بين الشباب وهذه المؤسسات السوسيوثقافية والتربوية المعنية هنا.

ويشير الباحث في ذات السياق إلى أزمة، **التهميش السياسي للشباب** في المجتمع المغربي، بشكل خاص والمجتمعات العربية بشكل عام، حيث لا تزال المؤسسات السياسية تتبع ممارسات تقليدية تُقصي الشباب عن المشاركة الفعالة في عملية التنمية والمشاركة السياسية. ويُفسّر **مصطفى محسن** هذا الوضع من خلال قوله: "أن الشباب يُمثّلون دائمًا قوة تغيير اجتماعي تُهدّد الأوضاع القائمة، ولذلك يُهمّشون من قِبَل الفئات المستفيدة من الوضع الراهن، ويعكس هذا التهميش هيمنة العقلية الأبوية في المجتمع، مما يُعيق التحديث والتغيير السياسي والاجتماعي" ويدعو إلى تبني **"ثقافة سياسية جديدة"** قائمة على ترشيد المشاركة السياسية والاجتماعية للشباب، بهدف تطوير المجتمع وتعزيز التنمية السياسية والاجتماعية المتكاملة.

ومن بين المعضلات الأخرى التي تعيق اندماج الشباب، **هشاشة أنظمة التوجيه المدرسي والمهني والجامعي للشباب المتمدرس**، اذ لا ترقى أنظمة التوجيه في المغرب بل وفي الوطن العربي إلى المستوى الذي يجعلها حلا مساعدا في ادماج الشباب في سوق الشغل، مما أدى في الحقيقة إلى تأزيم وضع هذه الفئات الشابة، وعدم دمجها في عالم الشغل، الأمر الذي كان سيحقق بالتأكيد إنماءً اقتصاديا واجتماعيا هادفا.. (ص31)

إن أهمية الاندماج في المجتمع تكمن في الحد من الصراعات التي قد تنشأ في المجتمعات ذات السمات المختلفة، مثل العرق والعادات والديانات والثقافات...إلخ، وبفضل الخصائص المتكاملة المذكورة أعلاه، والتي تتمثل في تلبية احتياجات كل الشباب على مختلف المستويات

والأصعدة، فإن التوافق على ادماجهم اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، يمكن أن يجعل هؤلاء يعيشون في انسجام تجاه القيم والأعراف الاجتماعية دون إثارة سوء الفهم بسهولة والذي يمكن أن يؤدي إلى صراع اجتماعي، يمكن ان يؤدي، كما هو مطلوب، إلى تمتين علاقات وأواصر، وممارسات التضامن والتكامل والانسجام في المجتمع...(ص114)

المبحث الثاني: تمظهرات الأزمة الشبابية في مجتمعاتنا العربية: مشكلات البطالة/ الهجرة/الهوية/الانتماء/ التطرف/الجريمة..

يرى الباحث أن الشباب العربي بصفة عامة، والمغربي بشكل خاص، يعرف أزمات عديدة وفي مجالات كثيرة، أولها؛ كما تم التصنيف في الكتاب، أولا، " **غياب تكافئ شامل للفرص الاجتماعية**" في مجال التربية والتعليم والتكوين، بناء على الجنس، ومجال العيش(حضري/ قروي)، وعلى مستوى الطبقات الاجتماعية.

ثانيا، **مشكل البطالة**، التي تطال عددا من الشرائح الاجتماعية الشابة، من مختلف الأوساط، وضمن كافة الفئات...، والتي أسفرت على حد تعبير الباحث عن مظاهر اليأس والرفض والاحتجاج، والهجرة السرية، كما يمكن اعتبارها حسب رأيي عاملا في تشجيع هجرة الأدمغة (Brian Drian)، فالشباب الحامل لشواهد، حينما تحد أفاقه في المجتمع الذي يحتضنه، يبحث عن آفاق أخرى في بلدان أخرى، تتيسر فيها مسألة الانتقال المهني، وتحقيق المشروع المهني.

ثالثا، وهو ما صنفه الباحث على المستوى السوسيوثقافي، ضمن **الانحراف الاجتماعي للفئة الشابة**، وهو متعدد المستويات، يتراوح ما بين القيمي والسلوكي، الأول يتجلى في تدهور القيم الروحية والثقافية والاجتماعية الإيجابية، مقابل صعود الأنانية والفردانية والمصلحة الخاصة، فيما يتمثل الثاني في سلوكات التطرف والتشدد والإجرام، الأمر الذي أدى إلى إحساسهم بالضياع والتشتت والتشكيك في الهوية والانتماء، وإلى ضعف انخراطهم في المسار التنموي. ثم "إن الشباب الذين لا يحققون نتائج جيدة في المدرسة والجامعة وغيرهما يُنشئون مجتمعاتهم الصغيرة الخاصة التي يُمكنهم فيها تحقيق مكانة مستقلة مرموقة: وهكذا يلجأون إلى التعبير عن هذه الاستقلالية الذاتية المميزة بمسلكيات ثائرة محتجة، مثل التدخين، أو التحلي بالقوة والتمرد والعنف، أو ارتكاب جرائم بسيطة[3].

وإذا كان كل هذا يُعطي فكرة عن حجم أو نوع المشكلات التي تُؤَزم وضع الشباب، ويبقى السؤال: هل هناك مشاكل أخرى تحول دون مساهمة "الشباب" في المسار التنموي، أو بالأحرى تساعد في تأزيم وضع الفئة الشابة؟ وعلاوة على ذلك، ماهي العوامل المنتجة لأزمة الشباب؟

جوابا على السؤال الأول، أرى أن الباحث لم يؤكد قطعا على أن هذه هي المشكلات التي تعترض "الشباب" فقط، بل وفتح الباب لاستكشاف المشكلات الأخرى أمام جمهور الباحثين والقراء، حينما أقَّر أن كل ما سبق عرضه من المعضلات ليس إلا تعبيرا عن بعض مظاهر الوضعية المأزمية التي يعيشها الشباب...، وبخصوص السؤال الثاني فسيكون الجواب عنه هو موضوع المحور اللاحق.

المحور الثالث: العوامل المنتجة لأزمة إدماج الشباب: فشل سياسات التربية والتكوين والتوجيه والتشغيل والاقتصاد../ مقارنة مع الغرب..

جوابا على السؤال الذي انتهينا إليه في المحور السابق: **ما هي العوامل المنتجة لأزمة الشباب؟** فإن الباحث حاول في هذا الكتاب أن يعرض بعض العوامل التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في خلق هذه الأزمة، دون أن يقر بكونها هي الوحيدة التي تشكل أو تخلق هذه الأزمة لدى الفئة الشابة في المجتمع، تاركا الباب هنا مفتوحا لاستكشاف العوامل الأخرى أمام جمهور الباحثين المهتمين بالقضايا الشبابية، كما يتضح من خلال قوله أو إقراره بوجود عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هاته، والتي تتجلى في: **مسألة التكامل بين أنظمة التعليم والتكوين وأسواق العمل**، كإشارة إلى التحديات التي تعيق تحقيق الإدماج المهني للشباب في المجتمع، سواء المؤهلين أو غير المؤهلين، في ظل انفصال

[3] O'Connor, A. (2004). The sociology of youth subcultures. Peace Review, 16(4), 409-414. https://doi.org/10.1080/1040265042000318626. P1.

هذه الأنظمة عن احتياجات السوق. ويضعنا هنا أمام **مقارنة نقدية بين الوضع في المجتمعات الغربية وما هو عليه في المجتمع المغربي والعربي المعاصر**. وذلك لتوضيح مكامن الأزمة بدقة، مشيرا إلى أن الفرق يكمن في أن المجتمعات الغربية تمكنت من تطوير سياسات وخطط واستراتيجيات عقلانية فعالة للإدماج المهني، وذلك من خلال تنظيم شراكات وجسور وتعاقدات بين الدولة، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات الإنتاجية، على عكس المجتمع المغربي، والمجتمعات العربية بصفة عامة، والتي تعرف تفاقمًا في معدلات وانماط البطالة، والهدر المدرسي. مِمَّا يدل على نقص التكامل المنهج بين أنظمة التعليم والتكوين والتدريب والوجيه وسوق العمل. ويُعزى هذا إلى ضعف السياسات الاقتصادية والتربوية، وعدم وجود شراكة حقيقية بين القطاعات المختلفة داخل هذه المجتمعات التي تنتمي إلى دول العالم الثالث.

المحور الرابع: نحو استراتيجية عقلانية لإدماج الشباب

عطفا على كل ما سبق، لم يكتف الباحث بكشف وعرض فقط هذه الأزمة التي تستفحل بين الشباب في المجتمع المغربي، بل انتقل إلى مستوى آخر، وهو تقديم بعض الاستراتيجيات التي يمكن أن تساعد في بلورة حل للخروج من هذه الأزمة، كما يتضح من خلال عنوان هذا المحور. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الباحث لم يخصص فصلا أو محورا معينا لذكر هذه الاستراتيجيات بل جاءت متفرقة حسب سياقات ومضامين فصول الكتاب، ومن بين القضايا التي ركز عليها كمنطلقات استراتيجية بديلة لتخطي وتجاوز هذه الأزمة المعنية هنا، يمكن أن نركز على ما يلي:

أولا: اصلاح شمولي تربوي واجتماعي متكامل.

وهو من الشروط التي أكد الباحث على ذكرها ترسيخا لمشروع يهدف بالدرجة الأولى إلى إدماج الشباب. والمقصود هنا هو أن تنفتح المؤسسات التعليمية على باقي الأقطاب والمجالات الاجتماعية الأخرى، بصفة خاصة بمسألة التمهين والتمكين، مؤكدة على أن المشروع الإصلاحي التربوي الناجح هو الذي تتطابق فيه مضامين ومناهج التكوين مع ما هو موجود في سوق الشغل، كما تتطابق مخرجاته مع مكونات وخصوصيات النسق المجتمعي العام، ومع المشروع التنموي الذي يحتضنه.

وقد أسفر تحليل الباحث على أن المغرب ما زال يعرف تعثرا في مشروعه التربوي، مقارنة مع بعض الدول "المتقدمة" كفرنسا"، لذلك أشاد بضرورة هذا الإصلاح. ويولي الباحث اهتماما بالغا لما يسميه بـ" **الإصلاح التربوي والاجتماعي الشمولي**"، ليس ضمن هذا العمل فقط، بل في عدد من الأعمال الأخرى، مما يمكن القول معه أنه يشكل جزءًا من مشروعه الفكري النقدي، والتربوي والأكاديمي الشمولي. ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن الباحث في هذا العمل لم يقتصر على الإصلاح في مجال التربية وحدها، بل انفتح أيضا على الجانب المجتمعي. وأظن أن مصطفى محسن هنا يفكر بمنطق " **الخيال السوسيولوجي**"[4] كآلية لتفكير هذه المسألة الاجتماعية، ومنها اقتراح استراتيجية ملائمة لإصلاح تربوي تتأسس على رؤية نقدية شمولية تتجاوز الاختزال التقني أو التبسيط الإجرائي، مؤسسة بذلك لفهم مركب للأزمة التربوية وسبل تجاوزها. وعلى هذا الأساس فالإصلاح في نظره، ليس مجرد تدخل ظرفي لمعالجة أعطاب قطاع معين، بل هو عملية بنيوية مركبة ديناميكية متواصلة، تقتضي مساءلة شاملة للبنيات المجتمعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تؤطر النظام التربوي والاجتماعي القائم، وتنتج أزماته[5]، أي الانطلاق من الميكرو إلى الماكرو؛ المستوى الميكرو–سوسيولوجي، الذي يعنى ببنية النظام التربوي ومكوناته الداخلية، والمستوى الماكرو–سوسيولوجي، الذي يربط إصلاح التعليم بإصلاح شمولي للمجتمع برمته. وبهذا المعنى، يصبح الإصلاح التربوي سيرورة مجتمعية دائمة لا تقف عند حدود " التربية" وحدها، بل تعتمد الانفتاح على العامل السياسي والاقتصادي والمجتمعي، والثقافي ضمن السياق العام الذي يحيط بها.

---

[4] Mills, C. W. (2000). *The sociological imagination*. New York: Oxford Press.

[5] أنظر على سبيل التوسع، مصطفى محسن :في المسألة التربوية: نحو منظور سوسيولوجي منفتح، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى، 1992.

مصطفى محسن: رهانات تنموية: رؤى سوسيوتربوية وثقافية نقدية، منشورات الزمن، الرباط، سلسلة "شرفات، العدد 33" الطبعة الأولى، 2011.

حسن علوض: «التنمية أفقا للتفكير: دراسة في سوسيولوجيا مصطفى محسن»، مطبعة شمس برينت، سلا، الطبعة الأولى، 2021.

إنه بهذا يتبنى منظورا تكامليا، يمزج بين المقاربات السوسيولوجية الكبرى، في أفق بناء وعي نقدي يدمج الأبعاد الثقافية، والتاريخية، والسوسيولوجية في مقاربة مفهوم الإصلاح التربوي والاجتماعي، مما يمكن معه القول أن أهمية التخطيط لأنظمة التعلم والتكوين، جزء لا يتجزأ من التخطيط الاجتماعي الشمولي، وذلك بغية التحكم في مدخلات ومخرجات هذه الأنظمة الحيوية في المجتمع. (ص92)

ثانيا: ملاءمة مضامين التكوين لسوق الشغل

ويقصد الباحث بذلك، أن يكون هناك تحديد في المعايير المعتمدة من قبل المؤسسات الإنتاجية، مع عقد شراكة بين مؤسسات التكوين ومجالات الشغل عن طريق التكوين المستمر "Formation continue" والتكوين بالتداول "Formation par alternance" ونظام العطلة التربوية أو التدريبية"Congé_ Education_ Stages" وهو ما قد يساعد في انتقال الشباب _عبر "مشاريع" تكوينية ومهنية وحياتية تكيفية مرنة_ من الحياة التعلمية إلى الحياة المهنية، والباحث هنا لم يقتصر على الشباب المتعلم فقط بل وحتى غير المتعلم الذي نصح باعتماد نظام تربوي خاص به يؤهله للاندماج في الحياة العملية بشكل ملائم، ويتطلب ذلك اعتمادات مالية وأطرًا تشريعية وتنظيمية، (ص62)

ثالثا: اعتماد "تربية موجهة"

يرى الباحث ضرورة اعتماد " **منظور التربية الموجهة**" باعتبارها نموذجا ارشاديا أو "**براديغم**"، يركز على دور المتعلم باعتباره محور العملية التربوية، وبالتالي تمكينه معرفيا ومهاريا، من تحقيق تنشئة اجتماعية متكاملة ومتوازنة، وكذلك من تطوير كفايات التواصل والمرونة والانفتاح لدى المتعلمين، كاستراتيجيات يفترض أن تمكن الشباب من بناء وعي وفهم عقلاني موضوعي لإمكاناتهم ومتطلباتهم وتوجهاتهم المستقبلية؛ والاعتماد على ذلك في سيرورة بنائهم لـ" مشاريعهم الدراسية والتكوينية والمهنية والحياتية والمستقبلية" المتناغمة المكونات...

رابعا: بلورة "مشروع تنموي" واجتماعي مندمج هادف مستدام

إن المشروع التنموي الذي يتحدث عنه مصطفى محسن هنا لا يخرج عن باقي الخطوات التي تم تقديمها سلفا، إذ أن الشباب، وعبر سيرورة تنشيئية وتربوية ومهنية متوازنة متكاملة، يحققون مشاريعهم التعليمية والمهنية، وبالتالي يساهمون في تحقيق المشروع المجتمعي الشمولي الأكبر. فالاندماج المهني سيؤدي إلى اندماج ثقافي واجتماعي واقتصادي متكامل، وإلى بناء "**هوية متماسكة**"، سواء على المستوى الذاتي أو المهني، مما ينتج عنه تحقيق للمشروع المجتمعي العام وتحقيق انسجام مع الهوية الوطنية أو القومية الشاملة، وعليه لا بد من التركيز في بلورة "مشروع تنموي" على سياسة إدماجية للشباب، تراعي حاجاتهم وخصائصهم الفردية والاجتماعية والتربوية المتعددة...

تخريج تركيبي عام:

يعد هذا العمل السوسيولوجي النقدي القيم بمثابة صرخة عن أوضاع الشباب في العالم الثالث، كالمغرب والعالم العربي، وأفريقيا ...إلخ. وما يميز هذه الأوضاع، من المشكلات التي يواجهها الشباب، مثل: مشكلة التعليم والتكوين والإعداد والتأهيل المعرفي والاجتماعي لهؤلاء. ومن المفيد التذكير في هذا التخريج، بأن الباحث في تناوله "**للمسألة الشبابية**" قد انفتح على مفاهيم كثيرة، وأثار بها قضايا متعددة، ونحن في هذه القراءة لم ننفتح على كل المسائل التي تناولها الباحث بالتحليل، بقدر ما ركزنا على مسألة مهمة في نظرنا وفي حدود سياق اشتغالنا، وهي مسألة الادماج والاندماج، وذلك لأنها تتقاطع في حدود معينة مع حقل اشتغالنا ضمن السوسيولوجيا ألا وهو سوسيولوجيا الهجرة، وبما أنا الباحث أشار في محطات معينة إلى أن عدم الاندماج قد يؤدي في حالات كثير إلى الدفع بالأفراد نحو الهجرة، أي أن الشباب غالبا ما يتجه إلى البحث عن آفاق أخرى جديدة، بديلة لهذا المجتمع الذي لم يعد يشعر فيه بالهوية الواضحة، والانتماء القوي، مما يحلم أن يجدها في عوالم الهجرة بمختلف تسمياتها، وبالتالي ينتج لنا هذا الوضع شبابا يطمح ويرغب في الهجرة، وهذا لا يقتصر على الشباب غير المتكون، بل إن حتى الذين لديهم تكوين وتعليم، يهاجرون إلى مجتمعات أخرى بحثا عن أوضاع أفضل، كما "هجرة الأدمغة" إلى دول مثل: أمريكا أو كندا على سبيل المثال لا الحصر...، ما يجل القول أن انسداد أفاق الاندماج في الداخل يقابله البحث عن آفاق جديدة في الخارج، يجدها الشباب في

الهجرة. هنا نجد ارتباط بين موضوع ادماج الشباب وبين ظاهرة الهجرة، وبالتالي فإن مسألة الاندماج لا تطرح فقط كمشكل في بلد الوصول أو دول الاستقبال، بل هو مشكل يصادفه الفرد في بلده، مما يجعله يفكر أو يتخذ قرار الهجرة...

ويبقى بعدما تقدم القول أن هذا المرجع السوسيولوجي النقدي القيم يوفر إطارًا أوسع مما توفره الكتب المدرسية أو الدراسات البحثية عادةً، ويُتيح مساحةً إضافيةً تُمكّننا من فهم طيفٍ واسعٍ من الطرق التي يُعايش بها شباب العالم الثالث الحياة، ويتفاعلون فيها، ويُشكّلون العالم. ويرجع ذلك إلى استناد هذا الكتاب إلى أعمال أقيمت في فترات زمنية، وفي سياقات مختلفة، جمعها الباحث هنا، مُقدّمًا بذلك رؤيةً شاملةً. كما بدا هذا الكتاب فرصةً رائعةً للعمل على قضايا الشباب، وتشجيع "الوافدين الجدد" نسبيًا من الباحثين إلى هذا المجال على الكتابة في قضايا الشباب أو ما يسميه عالم الاجتماع مصطفى محسن هنا بـ " **المسألة الشبابية**". كما يتيح فرصًا للتأمل في هذا المجال والمساهمة فيه مع الشباب، وهي أمور حيوية لممارسة بحثية جيدة منفتحة، وقد كانت تجربة هذه القراءة في هذا الكتاب، تجربة فريدة بانية ثرية ومثمرة. فقد أتاحت لي فرص استجماع وتكوين رؤى ثاقبة حول بعض الأعمال الجديدة الجارية. والأهم من ذلك، أنها أتاحت لي فرصة للتفكير والتأمل النقدي في "علم اجتماع الشباب" كمجال يندرج ضمن إطار تخصصنا " السوسيولوجيا". كما أثار تحرير هذه الورقة الموسومة "بالقراءة" أسئلة قد تبدو الإجابة عنها إما بديهية لا تحتاج إلى نقاش، أو معقدة تتحدى الإجابات المباشرة، ما يدفعنا إلى تكثيف القراءات في " منجز ومشروع هذا الباحث السوسيولوجي النقدي المؤسس": نظريات ومفاهيم ونماذج تحليل وتفسير وتأويل...وذلك في إطار سيرورة بحثه المستديم عن مساهمة نوعية مائزة في جهود " إنتاج وموالاة إنتاج وتحديد وتطوير الدلالة والمعرفة والمعنى"...